نبأ من اليابان

زعماء الامة

لارتقاء الامم شرطان لا بدَّ منهما الاول ان تكون الامَّة مستعدة للارتقاء وليس في شرائعها وتقاليدها ما يبعدها عنهُ والثاني ان يقوم منها اناس ذوو علم وعزم يعرفون كيف يرشدونها في سبل الارتقاء ويقوون على مقاومة العقبات التي تعترضهم فيهِ. وقد ابنا في الفصول السابقة ان الشرط الاول كان متوفرًا للامَّة اليابانية لان ليس في شرائعها وتقاليدها ما يمنعها من الاقتداء بغيرها من الامم المرتقية . والثاني كان متوفرًا ايضًا لان امبراطورها رجل عاقل غيور يعرف مصلحة بلادهِ ويودُّ إسعاد رعيتهِ وحولهُ عصبة كبيرة من رجال الفضل والنبل استعدوا لمناصبهم بالدرس في اعظم المدارس الاوربيَّة والاميركيَّة وعادوا الى بلادهم وترقيتها نصب عيونهم والغرض الذي يرمون اليهِ

قال المستر ستد انهُ زار هؤلاء الرجال في بيوتهم وجادثهم طويلاً ووقف على آرائهم وهم سبعة البارون شيوساوى والكونت اينوي والكونت اوكوما والشريف صدزوكا والمركيز يماغاتا والكونت متسوكاتا ورئيسهم الاكبر المركيز ايتو الذي قال عنهُ احد رجال اليابان "انهُ الرجل الذي تمثلت فيهِ بلادنا في حاضرها ومستقبلها والزعيم الذي تتجه اليهِ انظار كل الاحزاب متى وقعت البلاد في شدَّة سواء كان في الوزارة او خارجًا عنها"

المركيز ايتو

هو زعيم الامَّة اليابانية سواء كان في المنصب او خارجًا عنهُ . ومن حينَ أُلفت الوزارة الاولى الدستورية في اليابان وهو الرئيس لها فعلاً ان لم يكن اسمًا لانهُ اذا اريد تأليف وزارة جديدة ليس هو رئيسًا لها فاول شيء يفعلهُ الوزير المكلف بتأليفها انهُ يزورهُ ويستشيرهُ في الذين يختارهم لوزارتهِ . واهالي اليابان كبيرهم وصغيرهم يثقون بهِ ثقة تامَّة ولو تحاملت عليهِ الجرائد الصغيرة من وقت الى آخر طعنت عليهِ حتى يقال انها لا تهاب شأن العظماء

والامبراطور يثق بهِ كما تثق بهِ الامَّة ويعدهُ صديقًا حميمًا لهُ وهذا يزيدهُ رفعةً في عين الامة لانها تنظر الى امبراطورها نظر العابد الى المعبود فلا تستطيع الاَّ استحسان ما يستحسنهُ

وحاول المستر ستد تشبيه المركيز ايتو بيسمارك وبنابوليون الاول ثم قال انهُ لم يقم في اوربا رجل يشبههُ تمامًا بل هو منقطع النظير كما ان ارتقاء اليابان السريع منقطع النظير فانها نشأت من لا شيء تقريبًا وفي ثلاثين سنة قبضت على ميزان القوة في الشرق الاقصى والمركيز

ايتو الفضل الاول واليد الطولى في هذا النشوء والارتقاء وما من احد بلغ الستين فقط من عمره وهو يستطيع ان ينظر الى ماضي بلاده ويرى فيها الفرق الذي يراهُ هذا الوزير الآن

وهو بعيد عن الدعوى تكلمهُ في شؤون بلاده فلا تسمع منهُ كلمة عجب . اتى انكلترا اول مرة سنة ١٨٦٣ في سفينة شراعيَّة لطلب العلم وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة . ولما عاد الى بلاده ظهرت نجابتهُ في المذاكرات مع السفراء فولّي عملاً متصلاً بمرفأ أُعطي للاجانب ثم جُعل وكيلاً لناظر الماليَّة سنة ١٨٧٠ فذهب الى اميركا ليدرس الشؤون الماليَّة فيها وبعد ثلاث سنوات جعل ناظرًا لنظارة الاشغال العموميَّة وعمرهُ اثنتان وثلاثون سنة وسنة ١٨٨٥ عهد اليهِ في تأليف وزارة جديدة فبقي رئيسًا للنظار ثلاث سنوات واعيد الى رئاسة النظارة سنة ١٨٩٢ فادار رحى الحرب الصينيَّة اليابانيَّة وبقيت وزارتهُ الى سنة ١٨٩٦ ورقي حينئذٍ الى رتبة مركيز ودعي لتأليف الوزارة ايضًا سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وقد اوفدهُ الامبراطور الى اوربا واميركا مرارًا في مهام السلطنة ولا سيما سنة ١٨٨٣ حين اوفدهُ ليبحث في تأليف دستور يوافق بلاد اليابان ثم اوفدهُ اخيرًا لعقد المعاهدة الانكليزية اليابانية وهي المرة الخامسة التي زار فيها اوربا في مهمة سياسيَّة

اما انشاؤهُ الدستور الذي قلب بهِ حكومة اليابان من الحكم الاستبدادي المطلق الى الدستوري المقيَّد فلم يكن بالامر السهل وقد قال عنهُ ما ترجمتهُ

" لقد كلفني هذا العمل عناءً كثيرًا فانهُ لم يكن في اليابان دستور استرشد بهِ الى معرفة الامور التي لا بدَّ منها . ولما اقررت على ما ظننتهُ لازمًا للبلاد كنت في ريب من إمكان العمل بهِ وكان لا بدَّ من احكام قواعدهِ حتى تكون ثابتة لا تتغير وذلك يستلزم النظر في عواقبها قبل الاقرار عليها وكان لا بدَّ من الاحتفاظ بكل حقوق الامبراطور المقدسة . وقد قمت بالعمل الذي طُلب مني ويسرني ان الدستور الذي وضعتهُ لبلادي لم تدعُ الحاجة الى تغيير شيء منهُ حتى الآن "

وصرف همهُ الى اصلاح الحربية والبحرية فتمكن من قهر الصين وهو الذي جعل في اليابان عمارة بحرية تضاهي عمارات الدول الاوربية

وسنة ١٩٠٠ انشأ حزبًا سماهُ المجتمع السياسي الدستوري وقال في المنشور الذي نشرهُ على اعضائهِ ما ترجمتهُ " اذا كان قصد الحزب السياسي ان يكون مرشدًا لبلادهِ كما هو الواجب على كل الاحزاب السياسية وجب عليهِ اولاً ان ينظم نفسهُ تنظيمًا تامًّا وان يخلص الخدمة لبلادهِ وان يتجنَّب الخطأ الفاحش وهو اعطاء الوظائف لغير الاكفاء لكونهم من حزبهِ "

هذا من حيث كونهُ زعيمًا سياسيًّا اما من حيث كونهُ رجلاً في هيئة اليابان الاجتماعية فقد زارهُ المستر ستد في مصيفهِ قرب توكيو فقابلهُ في القسم الاوربي منهُ لان منازل الكبراء في اليابان فيها قسمان قسم اوربي وقسم ياباني وجلس معهُ في غرفة تطلُّ على جبل فوجياما وهناك نظارتان يرى بهما الحجاج وهم صاعدون على ذلك الجبل ومائدة عليها كثير من الجرائد والمجلاَّت الانكليزية لانهُ كثير المطالعة . فتكلم عما تمَّ في اليابان من التقدُّم السريع وقال ان كل ما اقتبسناهُ من الاوربيين صبغناهُ بالصبغة اليابانية قبل اقتباسهِ وكذا فعلنا بكل ما اقتبسناهُ قبلهُ كمذهب بوذه ومذهب كنفوشيوس هذا كان شأننا في الماضي وسيبقى كذلك . ولام المرسلين الذين اتَّهموا اهالي اليابان بفساد الآداب وقال انهُ مسرور لانهُ ليس في بلادهِ ديانة ظاهرة بل فيها قواعد اديبيَّة ترجب على المرء ان يكون عادلاً مستقيمًا فهي في غنًى عمَّا في بعض الاديان من الاوهام والخرافات

قال المستر ستد ثم دُعينا للطعام فخرجنا الى حديقة غناء تعتني زوجة المركيز بما فيها من الازهار ونقضي اكثر وقتها فيها وسرنا الى ان بلغنا القسم الياباني من بيتهِ ودخلنا غرفة المائدة فاذا الطعام كلهُ اوربي من اثمر ما يكون والغرفة نفسها مزدانة ابدع زينة وفيها كثير من الازهار التي رتبتها زوجتهُ . ودار الكلام بعد الطعام على الصين فقال ان لا بدَّ لها من امبراطور حازم والاَّ مزَّقتها الفوضى سنين كثيرة الى ان يقوم فيها زعيم قادر على لمّ شعثها وانقاذها من الدمار. ومن رأيهِ انهُ لا يمكن اصلاح الجنود الصينيَّة ما دام قوادها من الصينيين

وزار عواصم اوربا بعد ذلك ولقي الحفاوة والاكرام من ملوكها ولا سيما من قيصر روسيا وامبراطور المانيا وملك ايطاليا ووصل الى لندن في اواخر دسمبر الماضي وعلى اثر زيارتهِ عُقدت المحالفة بين انكلترا واليابان

البارون شبوساوى

البارون شبوساوى ليس من زعماء السياسة ولكن في يدهِ القوة المالية التي تدير السياسة . كان وكيلاً لناظر المالية فاستعفى من منصبهِ ودخل ميدان التجارة ولهُ الفضل الاكبر في تقدم بلادهِ ماليًّا وصناعيًّا . قال المستر ستد انهُ بلغ الثانية والستين من عمرهِ وهو الآن رئيس او مدير لنحو خمسين شركة كبيرة ولهُ اسهم في كل شركة صناعيَّة تنشأ في البلاد . وقد عُرض عليهِ حديثًا منصب نظارة المالية فرفضهُ لانهُ يقول انهُ يقدر ان يؤثر في الحكومة وهو بعيد عن مناصبها اكثر مما لو كان فيها . ولو رأى ان مصلحة بلادهِ تقتضي ان يقبل وزارة المالية لقبلها ولو اضطرَّ ان يستعفي من كل الشركات التي هو رئيس لها . وهو شديد الغيرة على مصالح

بلاده ولقدُمها بنى كثيرًا من الملاجئ للعوزين ووقف الاموال الطائلة على المدارس واعمال البر وهو الذي ادخل نظام الشركات الى بلاده

وقد زار اوربا قبل تنظيم الحكومة الجديدة وكان لابسًا اللباس الياباني ومتقلدًا سيفين على عادة اليابانيين فلما وصل الى فرنسا رمى السيفين وخلع اللباس الياباني ولبس اللباس الاوربي وبعث صورتهُ الى عائلتهِ فلما رأتها بكت وتحسبت على ما المَّ بها من العار اما هو فلم يعبأ بذلك بل بقي من ذلك الحين في مقدمة الآخذين مأخذ الاوربيين

وهو قصير القامة مملوء البدن محبوب جدًّا في بلادهِ لا يذكرهُ احد الَّا بالمدح والاطراء

الكونت ايتوي

هو شيخ طاعن في السن لكنهُ شاب في الهمة والاميال تقلَّب في مناصب الحكومة المختلفة ولا يزال مستعدًّا للتقلُّب فيها وقد زار اوربا مع المركيز ايتو واربعة آخرين قبل انتظام الحكومة الجديدة ودرس هناك عوامل المدنية الاوربية وعاد الى بلادهِ ودخل مناصب الحكومة فارتقى فيها سريعًا واتصل بالامبراطور وجُعل ناظرًا للخارجية . ولما رأى ان الدول الاوربية تقاومهُ في وضع رسوم عالية للجمارك استعفى من منصبهِ لانهُ من المعتقدين بان لا بدَّ لارتقاء صناعة البلاد من وضع الرسوم الفاحشة على البضائع الاجنبيَّة . وزار اوربا مرارًا كثيرة وابنهُ سفير الآن لبلادهِ في برلين

وهو مغرم بجمع التحف اليابانيَّة وبيتهُ مملوء من الصور القديمة ومصنوعات النحاس ولهُ ولع شديد بالحدائق وجمع الحجارة البديعة الالوان فيها ويقال انهُ من اكبر الثقات في مسائل اليابان الماليَّة وقد تقلب في اكبر مناصب الحكومة فكان ناظرًا للمالية وناظرًا للخارجية ورئيسًا للنظار

الكونت اوكوما

هذا الكونت من المغالين في الجري على اساليب الاوربيين حتى اتهمهُ اهالي بلادهِ بانهُ يقصد بيعهم للاجانب فقام عليهِ احد المتحمسين وقصد الايقاع بهِ فقتل الفرسين اللذين كانا يجران مركبتهُ وسائق المركبة ورماهُ بقنبلة من الديناميت مزقت فخذهُ الايمن لكنهُ بقي حيًّا فبُترت فخذهُ وعاد الى ما كان عليهِ من الانتصار للاجانب ووضع فخذًا صناعية وصار يمشي عليها بغير مشقة كبيرة

وهو مشهور في بلادهِ بانهُ افصح خطيب سياسي وتراهُ يضرب في طول البلاد وعرضها يخطب في المواضيع المالية ويحث الناس على تعليم اولادهم وقد كان ناظرًا للمالية ورئيسًا للنظار

وهو من زعماء حزب التقدم ومن اشد اعضائهِ حماسةً . وينتقد عليهِ البعض انهُ كثير الاماني شديد الآمال ولكن امانيهُ وآمالهُ تحققت كلها او اكثرها. ويقول بحرية التجارة فيخالف صديقهُ الكونت اينوي في ذلك ولهُ مقالات كثيرة في المجلات الاميركيَّة مع انهُ لا يعلم اللغة الانكليزية

ولهُ ولع بالتعليم وقد انشأ مدرستين الواحدة لتعليم البنات العلوم العالية والثانية لتعليم الصبيان العلوم العالية ايضاً ويتصل بالمدرسة الثانية دار طباعة تترجم فيها الكتب العلميَّة الى اللغة اليابانية وتطبع فيها. ولهُ بستان قرب المدرسة يُعدُّ الاول بين بساتين توكيو وهو وزوجتهُ مغرمان بغرس الازهار والرياحين فيهِ ولاسيما السحالب النادرة المثال

وهو والكونت اينوي لا يشيخان ولو علاهما المشيب ولا تفارقهما همَّة الشباب ولاسيما في المسائل الوطنيَّة

الشريف صدزوكا

هو شاب عالي الهمة سائر في سبيل زعماء السياسة وسيكون لهُ شأن كبير في بلادهِ . لم يبلغ سن الكهولة حتى الآن ومع ذلك تربَّع في كثير من المناصب العالية فكان وكيلاً لنظارة المعارف ولنظارة الخارجيَّة وهو اصغر عضوٍ في مجلس الاعيان وقد مُنح هذا الشرف اعترافاً بفضلهِ وكفاءتهِ . درس في المانيا وهو يتكلَّم الالمانية والانكليزية والفرنسوية وقد رافق المركيز ايتو لما كان في اوربا اخيراً كاتباً لهُ فادهش الذين رأوهُ بذكاء عقلهِ وقوة حجتهِ وتفانيهِ في خدمة رئيسهِ . قال المستر ستد ولا بدَّ من ان تسند اليهِ نظارة المعارف او نظارة الخارجيَّة

الكونت متسوكاتا

هذا الرجل اعظم رجال المالية في حكومة اليابان وقد بقي سنين كثيرة وادارة المالية في يدهِ ولا تزال في يدهِ حتى الآن . والناظر اليهِ يظن انهُ يرى البرنس بسمارك لشدَّة المشابهة بينهما وهو من المعجبين ببسمارك وبغلادستون وعندهُ تمثالاهما . وقد اقام وقتاً طويلاً في فرنسا يدرس نظاماتها المالية وعاد الى بلادهِ في اوائل العصر الجديد فوجد مجالاً واسعاً لاظهار معارفهِ . ولما كانت ادارة المالية في يدهِ اتمَّ عملين عظيمين الاول تحويل الاوراق المالية التي لم تتعهد الحكومة ان تبدلها بالنقود الى اوراق تعهدت بابدالها والثاني جعل الذهب معياراً للمعاملة . وهو الذي وضع نظام المالية اليابانية على اساس متين ولولاهُ ما استطاعت البلاد ان تخرج من العسر المالي وقت الحرب مع الصين . وقد كتب في مالية اليابان وفي الاعتماد على الذهب معياراً للمعاملة وكتابتهُ في هذين الموضوعين تدلُّ على علم واسع ورأي اصيل وهو من شيوخ السياسة المقربين من الامبراطور

المركيز ياغاتا

هو مرشال في الجيش الياباني وقد جاوز السادسة والستين من عمرهِ ولكنهُ لم يزل منتصب القامة مملوءًا قوةً ونشاطاً بوجه باش وعينين برّاقتين حسن البزّة كما يكون القوّاد الاوربيون عادةً وهو من اكبر رجال السياسة عند اليابانيين ويظن البعض انهُ اكبرهم كلهم وقد كان رئيساً للنظار اكثر من مرة وهو الذي ادخل نظام الجندية الحالي الى اليابان ويقال انهُ من اعلم الناس باحوال الصين وبما يلزم لاصلاحها

وقد لقي اشد المقاومة لما ادخل نظام القرعة العسكرية الى بلادهِ لان الجمهور كان يعتقد انهُ يستحيل الجمع بين ابن التاجر وابن الفلاح لكن قمع الثورة الوطنية والتغلّب على الجنود الصينية اثبتا انهُ اصاب كبد الصواب في تنظيم الجيوش اليابانية . ثم اثبتت الحوادث الاخيرة في بلاد الصين ان الجنود اليابانية لا تقل عن الجنود الاوربية انتظاماً وكفاءة

وقد كانت لهُ القيادة العامّة زماناً طويلاً وهو الآن متنحٍّ عن المناصب ولكن افعالهُ الماضية تكشف كل ما فعلهُ او يفعلهُ سواهُ

هذه خلاصة الوصف الذي وصف بهِ المستر الفرد ستد رجال اليابان الذين عاونوا امبراطورها على ايرادها موارد الاسعاد . وصفهم كذلك في كتابهِ الذي نشرهُ في اوائل هذا العام بعد ان زار بلادهم وبحث في شؤونها . ومن المحتمل ان بعضهم توفُّوا في غضون الشهور الماضية بعد ما نشر كتابهُ او تغيّرت مناصبهم او حدث لهم ما يجب ذكرهُ في ترجماتهم لكننا لم نقف على شيء ذلك. وحسبنا من امرهم ما ذكرناهُ فان فيهِ الدليل الواضح على وجود الرجال في المشرق وعلى انهم اذا أُسعدوا بملك يعرف مصلحة امتهِ ويريد اصلاح بلادهِ ولم يكن في شرائعها وتقاليدها ما يبعدها عن الاصلاح ظهرت جواهرهم المخبوءة في نفوسهم وكفتهم ثلاثون سنة لترقيتها من حالة شبيهة بالهمجيّة الى حالة لم تصل اليها بعض الممالك الاوربيّة حتى الآن

وقد اوردنا هذه الفصول عن بلاد اليابان لا تزلُّفاً الى اهاليها ولا تفكهة لقراء المقتطف بل عبرةً وذكرى حتى يرى الساعون في اصلاح بلادهم من الشرقيين المثال الذي يليق بهم ان يحذوهُ في اصلاحها ويرى ولاة الامر خاصّةً ان الاصلاح غير بعيد المنال اذا شدوا العزيمة لتطلبهِ ولم يكن في العقائد المتسلطة على نفوسهم شيء يبعدهم عنهُ . والاّ فان بقيت عزائمنا فاترة وبقينا مستمسكين بالسخيف من العقائد الموضوعة التي تمنعنا من توحيد كلمتنا والاقتداء بغيرنا فلن تقوم لنا قائمة